

• دریافت ۱۴۰۱/۰۴/۲۲

• تأیید ۱۴۰۱/۰۸/۰۳

## نقد نظرية السكاكي و من تبعه و مناقشتها في تفسير القصر

### في الآية الرابعة و الأربعين بعد المئة من سورة آل عمران

قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا... ) إلى قوله تعالى: (وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/ ١٤٦-١٤٤)

محمد إبراهيم خليفه شوشتری \*

#### الملخص

إن عنوان هذه المقالة هو (نقد ومناقشة) والمقصود بالنقد و المناقشة هو أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة (٥٦٢٦هـ)، صاحب كتاب مفتاح العلوم وهو أحد علماء البلاغة البارزين، والسبب الذي دفعني لنقده ومناقشته وهو رأيه في تأويل القصر في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران/ ١٤٤) حيث قال: "ومن الوارد في التنزيل على قصر الأفراد قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ)؛ فمعناه محمدٌ مقصورٌ على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك. نُزِّلَ المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزل المُبجدين لهلاكه. (السكاكي، ١٩٨٣: ٢٨٩)

وهذا الكلام معناه أن السكاكي نسب إلى الله تعالى أنه هو الذي نُزِّلَ الصحابة منزلة المعتقدين بأن الرسول الأعظم «ص» خالدٌ لذلك قصره الله تعالى على الرسالة، ونفى عنه الخلود، وقد تبعه في هذا الرأي بحسب اطلاعي جميع علماء البلاغة الذين جاؤا بعده إلى يومنا هذا، وإنني حين دققُ النظر في رأيه هذا وجدتُ أن نقده و مناقشته وإعطاء الرأي الصحيح أمرٌ ضروريٌ ومهمٌ جداً؛ لأن هذا التأويل وهذا التفسير يرتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بتفسير الآيات القرآنية التي من جملتها هذا القصر، وبفهمها فهماً مدعوماً بالأدلة المحكمة أيضاً علماً بأن السكاكي حين نسب ذلك إلى الله -تعالى- نسبه بضررٍ قاطع، ولم يُتبعه بجملةٍ مثل هذه الجملة: (والله تعالى - أعلم). وإن الذي عملته هو أنني نظرتُ إلى هذا القصر من زاويةٍ أخرى هي أقرب إلى حقيقة الأمر مستنداً في ذلك إلى سبب النزول، و إلى علم المعاني و إلى الواقع التاريخي لذلك ناقشتُ رأيه من الجهات الأربع التالية: شأن النزول، والصفات التي نفاها هذا القصر، والمقام والاعتبار المناسب، وارتباط البحث البلاغي في القرآن الكريم بالتفسير.

وكان من النتائج التي توصلتُ إليها أن الله تعالى لم يُنزل الصحابة منزلة المعتقدين بخلود الرسول الأكرم «ص» وأن نسبة ذلك إليه -تعالى- دون دليل إنما هي عملية تأويلية لعل المراد منها إخضاع الآية للقاعدة البلاغية وأهم النتائج أن الصفات التي نفاها هذا القصر هي: السحر والجنون والكذب (ادعاء التَّبَوُّة) وليست هي الخلود. وإنني لم -أز- بحسب إطلاعي - من ناقش رأي السكاكي هذا و نقده وأعطى الرأي التبدل المدعم بالدليل قبلي.

الكلمات الرئيسية: نقد و مناقشة، نظرية السكاكي، الآية و الرابعة و الأربعين بعد المئة من سورة آل عمران، القصر

## مقدمه

قال تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف/٧٦) قال الطبرسي مُفسراً هذه العبارة المباركة: «يعني: إِنَّ كُلَّ عَالِمٍ فَإِنَّ فَوْقَهُ عَالِمًا مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- الْعَالِمِ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ لِذَاتِهِ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَعَدَّاهُ...» (طبرسي، ١٩٨٨، ج ٥: ٣٨٧) و نفهم من ذلك الأمرين التاليين: الأول: نقص البشر و نقص علومهم والثاني: أنه لانهاية للعلم و طلبه، قال تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (البقره/٢٥٥)، قال تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء/٨٥) و لاشك أننا أمرنا بطلب العلم مازلنا على قيد الحياة قادرين على ذلك.

يقول مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

(أبوتمام، ٢٠٠٧، ج ١: ٣١٥)

لذلك نرى كل جيل من العلماء اللاحقين يستفيد من بحوث الجيل السابق ويعمل على تكميلها، وإضافة بحوث جديدة، وتصحيح ما وقع فيه السابقون من السهو والخطأ و غير ذلك، وتتكرر هذه العلمية في كل جيل لاجل، وقديماً قيل: «لِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، وَلِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةٌ» (الميداني، ١٩٩٢، ج ٢: ١٨٧)، و إذا أردت أن تكون واحداً من الذين يحظون بشئ مما ترك الأول للآخر، فمعليك إلا أن-تُدقق النظر في كل كلمة تقرأها، وأن تعطيهما حقها من التأمل والتفكير والتريث، وإذا اقتضى الأمر فأعرض ذلك على كلام من صح علمه، وبذلك تكون قد أدت دورك، وعصمت نفسك عن أن تفهم النص على غير وجهه الصحيح، أو أن-تعتقد رأياً غير ناضج أو سهواً وقع فيه من سبقك، وبذلك تكون قد أهلت نفسك لكي تحظى بشئ مما ترك الأول للآخر، فالأمر ليس سهلاً، ولعل دون ذلك خُرط القتاد. (الميداني، ١٩٩٢، ج ١: ٤٦٧؛ لسان العرب: مادة (خرط) مثل يُضربُ للأمر دونه مانع).

والمهم بما أتى مشغول بتأليف كتاب في علم المعاني لذلك بدأت أطلع الكتب القديمة لعلماء البلاغة ابتداءً بعبد القاهر الجرجاني و من جاء بعده كالزمخشري و فخر

الدين الرازي والسكاكي والخطيب القزويني والطبيبي وبهاء الدين السبكي والبابرتي وعصام الدين الحنفي وابن يعقوب المغربي، و انتهاءً بالدارسين المعاصرين الذين لم يدرس القصر في هذه الآية إلا قليلاً منهم، نعم و حينما وصلتُ إلى موضوع القصر بدأتُ كالعادة بمطالعة المصادر القديمة ولما وصلتُ إلى مفتاح العلوم لفت نظري رأيُ اعتقده السكاكي في تفسيره القصر في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ... (آل عمران/ ١٤٤) لأني لم أجد من معاصريه و سابقيه ولاحقيه من درس القصر في هذه الآية دراسةً بلاغية، فهو بحسب اطلاعي على ما توفر لدي من مصادر أول عالم فسّر هذا القصر بلاغياً و أعطى فيه رأياً تبعه فيه من جاء بعده حيث تلقوا تفسيره هذا بالقبول وأخذوا يكرّرون عباراته، ولم يُناقشوه في أصل تفسيره بل ناقشه الطبيبي و تبعه بهاء الدين السبكي وابن يعقوب المغربي، وذلك في مسألة فرعية هي أن هذا القصر هو قصر قلب وليس قصر أفراد كما اعتقده السكاكي. لكن هذا خارج عن بحثنا هذا.

لذلك بدأتُ أقرأ، ولما انتهيتُ من قراءتي لتحليله قصر هذه الآية الكريمة تحليلاً بلاغياً، شعرتُ أن تفسيره هذا يحتاجُ إلى إعادة نظرٍ، فأعدتُ النظر فيه بإمعانٍ، ثم رجعتُ إلى ما كتبه عبدالقاهر الجرجاني حول قصر الموصوف على الصفة، وبعد تأمل طويل انتهيتُ إلى أن تفسير السكاكي هذا يحتاجُ إلى نقد ومناقشة فعقدتُ العزم وتوكلتُ على الله تعالى. وكتبتُ هذه المقالة راجياً أن لا يُجانيني الصواب.

وقد اعتمدتُ في مناقشتي هذه على الأسس الأربعة التالية:

الأول: شأن النزول والثاني: الصفات التي نفاها هذا القصر والثالث: المقام والاعتبار المناسب والرابع: ارتباط البحث البلاغي في القرآن الكريم بالتفسير.

مدخل: إنني قلتُ في المقدمة: إن السكاكي بحسب اطلاعي على ما توفر لدي من مصادر هو أول عالم درس القصر في هذه الآية الكريمة و فسّره تفسيراً بلاغياً و أعطى فيه رأياً وافقه فيه من جاء بعده كالخطيب القزويني و الطبيبي وبهاء الدين السبكي والبابرتي وسعد الدين التفتازاني وعصام الدين الحنفي وأبي العباس ابن يعقوب المغربي

وغيرهم؛ ثم سار الدارسون المعاصرون على هذا النهج حيث وافق جميع هؤلاء السكاكي في رأيه في تفسير النفي والإثبات الحاصل من هذا القصر و في المقام و الاعتبار المناسب. لكنهم جميعاً لم يُصَرِّحوا بسبب نزول هذه الآية الكريمة و إنّ الذي تُريدُ أن نبحثه لتنعرف عليه الأمور الأربعة التي ذكرناها قبل قليل.

لذلك أذكر فيما يلي نصّ السكاكي وأتولوه بنصوص بعض من تبعه من القداما والمعاصرين؛ ثم أبدأ بمناقشتهم في الرأي الذي تبوّه. و بعد ذلك أشرح الرأي الذي توصلت إليه مستنداً إلى رأي عبد القاهر الجرجاني في قصر الموصوف على الصفة علماً بأنّ عبد القاهر الجرجاني (٥٤٧١هـ) لم يبحث هذه الآية في كتابيه: دلائل الإعجاز و أسرار البلاغية، وكذلك فخر الدين الرازي (٥٦٠٦هـ) يذكر القصر في هذه الآية الكريمة في كتابيه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز والتفسير الكبير، أما الزمخشري (٥٢٨هـ) فهو أيضاً لم يُفسّر القصر فيها ولم يشرحه بلاغياً.

والجدير بالذكر أنّ الدافع أو المبرّر لذكر نصوص علماء البلاغة ينحصر في سببين هما: الأول: أنّ أشرحها شرحاً مختصراً والثاني: أنّ أسهّل على القارئ الكريم الاطلاع عليها، و أوفّر عليه مراجعة مصادرها؛ لأنه يجد هذه النصوص حاضرة أمامه.

وفيما يلي نصّ السكاكي، و نصوص بعض تابعيه قديماً وحديثاً:

قال السكاكي (٥٦٢٦هـ): «ومن الوارد في التنزيل على قصر الأفراد قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران/١٤٤)، فمعناه: محمداً مقصوداً على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك، نُزِّلَ المخاطبون لاستعظامهم أنّ لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه». (السكاكي، ١٩٨٣: ٢٨٩).

إنّ معنى كلام السكاكي هو أنّ قصر الأفراد هنا يعني أنّ الصحابة اعتقدوا أنّ الرسول الأكرم «ص» موصوف بالرسالة و الخلود معاً؛ أي: إنهم اعتقدوا باشتراك هاتين الصفتين في موصوف واحد هو الرسول الأعظم «ص» لذلك جاء القصر لينفي الخلود عنه «ص» و يُثبت الرسالة بمفردها له «ص»، أي: ليثبت أنه «ص» رسول الله حقاً

وصدقاً فالمنفي هو الخلود. و سنرى أن بعض العلماء كالسبكي اعتقدوا أن القصر هنا هو قصر قلب. و ليس قصر أفراد، فخالفوا السكاكي في هذا المورد، و وافقوه في كون المنفي هو الخلود، و مناقشتي للسكاكي تنحصر في اعتقاده أن المنفي هو الخلود. وقال الخطيب القزويني (٥٧٣٩هـ): «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران/١٤٤)؛ أي: إنه -صلى الله عليه و سلم- مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرّي من الهلاك نُزِّلَ استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه». (الخطيب القزويني، ١٩٩٣: ١٢٨) أي: منزلة إنكارهم هلاكه، و واضح أن كلام الخطيب القزويني هو تكرار لكلام السكاكي، فالمنفي في هذا القصر هو الخلود الذي عبّر عنه بالتبرّي من الهلاك.

وقال شرف الدين الطيّبي (٥٧٤٣هـ): «ومن الأفراد في التنزيل: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران/١٤٤)؛ أي: هو -صلوات الله عليه- مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى عدم الهلاك. كأنهم أثبتوا له الرسالة و الخلد». (الطيّبي، ١٩٨٧: ١٢٥؛ الطيّبي، ١٩٩١: ٧٨)

وهذا الكلام أيضاً هو تكرار لكلام السكاكي و اعتقاده بأن المنفي هو الخلود. و قال بهاء الدين السبكي (٥٧٧٣هـ): «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فأنه خطابٌ للصحابة و هم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي إلا أنه نُزِّلَ استعظامهم له على الموت تنزيل من يجهل رسالته؛ لأن كل رسول لا بد من موته، فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته و هذا هو الصواب و به يظهر أن هذا قصر قلب لا قصر أفراد فإن اعتقاد الرسالة و عدم الموت لا يجتمعان و إنكارهم الموت ينفي أن يجتمع معه الإقرار بالرسالة حتى يكون قصر أفراد». (السبكي، ٢٠٠٣، ج ١: ٤١٠)

### شرح كلام السبكي:

إن معنى كلام السبكي هو أن الصحابة لما استبعدوا موت الرسول الأعظم «ص»

فكانهم لم يعتقدوا ولم يُقَرُّوا بأنَّ محمداً «ص» رسولُ الله حقاً و صدقاً بل اعتقدوا أنه خالدٌ. لذلك جاء القصرُ لِيَقْلَبَ هذا الاعتقادَ و لِيَقُولَ: إِنَّه «ص» رسولُ الله حقاً و صدقاً و أنه «ص» ليس بخالد، فأثبت له الرسالةَ و نفى عنه الخلودَ و هذا هو معنى قول السبكي: (إنَّ هذا قصرُ قلب لا قصرُ إفرادٍ) فالسبكي وافق السكاكي في أنَّ المنفيَّ هو الخلودُ. لكنه خالفه في نوع القصر إذ اعتبره قصر قلب و ليس بقصر إفراد و دليلاً أنَّ اعتقاد الرسالة و عدم الموت لا يجتمعان ولا يشتركان في موصوف واحد؛ لأنَّ إنكار الموت لا يجتمع معه الإقرارُ بالرسالة، فحينَ استبعدَ الصحابة موتَ الرسول الأكرم «ص» صاروا كأنهم استبعدوا كونه رسولَ الله حقاً و صدقاً، وكأنهم لم يُقَرُّوا برسالته إذن فكانَّ الصحابة لم يعتقدوا بأنه «ص» رسولُ الله. بل اعتقدوا أنه خالدٌ؛ أي: إنهم اعتقدوا عكس الصفة التي ذكرتها الآية الكريمة، يعني: إنهم اعتقدوا عكس كونه رسولاً، فكانهم اعتقدوا بحكم هذه الجملة: (ما محمدٌ إلا خالدٌ) لذلك جاء القصرُ لِيَقْلَبَ هذا الحكمَ و لِيَقُولَ: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران / ١٤٤) لاخالدٌ.

وقال أكمل الدين البابرّي (٥٧٨٦هـ): «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران / ١٤٤)؛ أي: مقصودٌ على الرسالة لا يتعداها؛ أي: لا يتجاوزها إلى التبرُّؤ من الهلاك، نزل الله - سبحانه وتعالى - استعظامَ المؤمنين هلاكَ رسوله - عليه الصلاة و السلام - منزلةً إنكارهم إياه». (دويدري، ١٩٧٠: ٣٣٧) واضح أنَّ هذا تكرارٌ لكلام السكاكي و اعتقادُ بأنَّ المنفيَّ هو الخلودُ.

وقال سعد الدين التفتازاني (٥٧٩١هـ): «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران / ١٤٤)؛ أي: مقصودٌ على الرسالة لا يتعداها إلى التبرُّؤ من الهلاك، فالمخاطبونَ و همَّ الصحابةُ رضی الله عنهم، كانوا عالمينَ بكونه مقصوراً على الرسالة غير جامع بين الرسالة و التبرُّؤ من الهلاك. لكنهم لمَّا كانوا يُعدُّون هلاكَهُ أمراً عظيماً نُزِّلَ استعظامُهُمْ هلاكَهُ منزلةً إنكارهم الهلاكَ». (التفتازاني، بلاتا، ج: ١، ١٩٤)

### شرح كلام التفتازاني

إنَّ كلام التفتازاني هذا هو تكرارٌ لكلام السكاكي؛ لأنَّ معنى قوله: (لكنهم لَمَّا كانوا يُعَدُّونَ هَلاكَهُ أمراً عظيماً نُزِّلَ استعظامُهُم هَلاكَهَ منزلةً إنكارَهُم الهَلاكَ) هو أنَّ الصحابةَ جمعوا في النَّبِيِّ «ص» صفتين هما: الرسالة والخلود، فجاء القصر ليُثبِتَ الرسالةَ له «ص» و ينفي عنه «ص» الخلود؛ أي: جاء القصر ليبيطَلَ اشتراكَ هاتين الصفتين (الرسالة و الخلود) في موصوف واحد هو الرسول الأعظم «ص». و هذا يعني أنَّ التفتازاني اعتقدَ أنَّ نوعَ القصر هو قصرُ الأفراد الذي أبطله بهاء الدين السبكي في نصه المتقدم. والمهم أنَّ التفتازاني اعتقد أنَّ المنفي هو الخلود.

وقال عصام الدين الحنفي (٥٩٤٣هـ): «والأقرب عندي أنه قصر قلب أي: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ، لَإِلَهِ)؛ نُزِّلَ استعظامهم هَلاكَهَ منزلةً دعوى أُلُوهِيَّتِهِ: لَأَنَّ البقاءَ يَخُصُّ الإلهَ: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (قصص/٨٨)، و اعتقادُ الأُلُوهِيَّةِ يُنافي الرسالةَ». (الحنفي، ٢٠٠١: ٥٥٩)

### شرح كلام عصام الدين الحنفي:

إنَّ الحنفي وافق السبكي في كون القصر قصرَ قلب. لكنه خالفه في تفسير هذا القصر؛ لأنَّ السبكي فسَّرَ القصرَ هنا بأنَّ استعظامَ الصحابة هَلاكَهَ «ص» نُزِّلَ منزلةً عدم الاعتقاد بأنه رسول الله، لذلك فاعتقادهم بأنه خالد يُنافي كونه رسولَ الله، فجاء القصر ليقلبَ ذلك. أمَّا الحنفي ففسَّرَ قصرَ القلب هنا بأنَّ استعظامَ الصحابة هَلاكَهَ «ص» نُزِّلَ منزلةً ادِّعاءِ أُلُوهِيَّةِ الرسول، لذلك فاعتقادُ أنه إلهٌ يُنافي كونه رسولَ الله. فجاء القصر ليقلبَ هذا الاعتقاد.

إذن فكأنَّ الصحابةَ لم يعتقدوا بأنه «ص» رسولَ الله. بل اعتقدوا أنه هو الإله؛ أي: إنهم اعتقدوا عكسَ الصفة التي ذكرتها الآية الكريمةُ يعني: إنهم اعتقدوا عكسَ كونه رسولاً و بعبارة أوضح: إنهم كأنهم اعتقدوا بحكم هذه الجملة: (ما محمدٌ إلا إلهٌ) لذلك

جاء القصر ليقلب هذا الحكم و ليقول: (ما محمد إلا رسول) لا إله. والمهم أن عصام الدين الحنفي اعتقد أن هذا القصر أثبت لمحمد «ص» أنه رسول الله حقاً و صدقاً، و نفى عنه أن يكون إلهاً، فعصام الدين خالف السكاكي في أمرين: الأول نوع القصر و الثاني نوع التنزيل؛ لأنه قال: (نزل استعظامهم هلاكه منزلة دعوى الوهيتيه) أما السكاكي فقد قال: (نزل المخاطبون لاستعظامهم أن- لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه). فالمنفي عند عصام الدين الحنفي ليس الخلود بل هو دعوى الوهيتيه «ص»

و قال أبو العباس بن يعقوب المغربي (١٢٨ ٥١): «أصل التنزيل تشبيه الشيء بالشيء، فلما شبهوا بالنافي في ذلك ناسب تنزيلهم منزلة المنكرين، فخطبوا برداً الانكار. للاعتبار المناسب، و هو الإشعار بأنهم في غاية الاستعظام و غاية الحرص الذي ينزلون فيه منزلة المنكرين، و أنهم بحيث يخاطبون بهذا الخطاب التنزيلي رداً لهم عما عسى أن ينبني على ذلك الاستعظام مما ينبني على نفي المستعظم و قد وقع من بعضهم ذلك البناء حتى أنكر الوفاة (أي: أنكروا وفاة النبي «ص») يومها (أي: يوم وفاة النبي «ص»)، و شغله ذلك الإنكار عما يقتضيه الحال من الشغل بإقامة الدين من بعده - صلى الله عليه و سلم - و كان يقول (القائل هو عمر بن الخطاب): والله لا أسمع رجلاً قال: مات رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلا فعلت به كذا و كذا...» (المغربي، ٢٠٠٣، ج ١: ٤٤٦-٤٤٥)

والمهم أن النفي بهذا القصر عند السكاكي و جميع تابعيه هو الخلود باستثناء عصام الدين الحنفي. أما الدارسون المعاصرون فأكثرهم قلد السكاكي و بعضهم لم يذكر هذه الآية الكريمة، و منهم ذكرها دون أن يشرحها شرحاً بلاغياً، و فيما يلي أذكر أهم مقلدي السكاكي:

١- قال عبد المتعال الصعيدي: «... قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران / ١٤٤)؛ فالمعنى على أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى



- التَّبْرِيّ من الهلاك، وقد نُزِّلَ في ذلك استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه...» (الصعيدي، ١٩٩١: ٥٣) وقال أيضاً: «فكأنهم يعتقدون الشركة بين الرسالة و التبري من الهلاك و بهذا كان القصر على الرسالة قصر أفراد». (الصعيدي، ١٩٩٩، ج٣: ٥٣)
- ٢- وقال أحمد مصطفى المراغي: «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ)؛ أي: مقصود على الرسالة، لا يتعدّها إلى التَّبْرِيّ و التباعد عن الهلاك، نُزِّلَ استعظامهم هلاكه و شدّة حرصهم على بقاءه منزلة إنكارهم ذلك». (المراغي، ١٩٨٤: ١٣٩)
- ٣- وقال محمد عبد المنعم خفاجي: «فالمخاطبون وهم الصحابة كانوا عالمين بكونه مقصوداً على الرسالة غير جامع بين الرسالة والخلود، و هو التَّبْرِيّ من الهلاك و الموت، لكنهم لما كانوا يعدّون هلاكه و موته أمراً عظيماً نُزِّلَ استعظامهم لموته منزلة إنكارهم إياه». (الخطيب القزويني، ١٩٩٣، ج٣: ٣٥)
- ٤- وقال أحمد أحمد بدوي: «ومما ورد منه إضافياً قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (آل عمران/١٤٤)، فليس المراد هنا قصر محمد على الرسالة فحسب بحيث لا يتعدّها إلى غيرها، بل المراد أنّ محمداً مقصوداً على الرسالة لا يتعدّها إلى الخلوص من الموت الذي استعظموا أن يُلْمَ به». (أحمد بدوي، ١٩٥٠: ١٥٦)
- ٥- وقال عبده عبد العزيز قلقيلة: «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران/١٤٤) أي إنه -صلى الله عليه و سلم- مقصود على الرسالة لا يتعدّها إلى التَّبْرِيّ من الهلاك، نُزِّلَ -سبحانه و تعالى- إنكارهم موته منزلة إنكارهم رسالته». (قلقيلة، ١٩٩٢: ٢٤٤)
- ٦- وقال بسيوني عبدالفتاح فيود: «و تأمل قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (آل عمران/١٤٤)؛ فالصحابة، رضوان الله عليهم، لشدّة تعلّقهم وحبّهم للنبيّ، صلى الله عليه و سلم، نُزِّلوا منزلة من يعتقد أنّ محمداً، عليه الصلاة والسلام، يجمع بين صفتي الرسالة و

الخُلْدِ، فجاء أسلوبُ القصر مفيداً أنه، عليه الصلاة والسلام، مقصورٌ على صفة الرسالة، فهو رسولٌ يخلو كما خَلَّتِ الرُّسُلُ من قبله، لا يتجاوزُ صفةَ الرسالةِ إلى التخليد في الدنيا». (فيود، ٢٠٠٨: ٢٩٢)

٧- وقال محمد هاشم دويدري: «قصر الموصوف على الصفة... نحو قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) (آل عمران/١٤٤)؛ فقد قصر الله محمداً" صلى الله عليه و سلم، على صفة الرسالة و لكنه نفى عنه الخلود، فهو رسولٌ ولكنه يموت، ويُقتل و يفنى شأنه في هذا شأن سائر البشر». (دويدري، ١٩٧٠: ٧٤)

واضح جداً أن جميع هؤلاء الدارسين المعاصرين قلّدوا السكاكي في كون المنفي بهذا القصر هو الخلود.

### مناقشة السكاكي:

إن مناقشتي للسكاكي تتم في أربع جهات أذكرها فيما يلي:

### الجهة الأولى:

تعيين المقام (حال الخطاب) والاعتبار المناسب (المقتضى): يجب التعرف على المقام والاعتبار المناسب وتعيينهما بدقة؛ لأنهما الأساس الذي يقوم عليهما الكلام؛ لأن المقام هو الذي يحمل المتكلم على أن يُورد كلامه على صورة تُناسب المقام؛ فمثلاً: إذا كان الطالبُ أذكياً، فإن ذكاءهم هو المقام الذي يحمل الأستاذ على أن يُوجز ويختصر كلامه، ليكون الإيجاز مطابقاً لذكائهم و مناسباً له، أما إذا أطنب الأستاذُ انعدمت المطابقة بين المقام والاعتبار المناسب لذلك لا يكون الكلامُ بليغاً، كما لا يكون قائلاً بليغاً، أما إذا كان الطالبُ أغيباً، فإن غباءهم يحمل الأستاذ على أن يُطنب ويُكزّر ويُورد أمثلة كثيرة، وذلك ليكون الإطنابُ مطابقاً ومناسباً للمقام الذي هو غباء الطالب وبذلك يكون الكلامُ بليغاً كما يكون قائلاً كذلك، أما إذا أوجز هذا

الأستاذ انعدمت المطابقة والمناسبة بين المقام والاعتبار المناسب الذي هو الإطناب لذلك يكون الكلام وقائله غير بليغين و كذلك الأمر في كل جملة تُقال أو تكتب يعني لا تخلو جملةً بليغةً من المقام و الاعتبار المناسب.

### المقام و الاعتبار المناسب عند السكاكي:

إنَّ التفتازاني صرَّح بالاعتبار المناسب إذ قال: «والاعتبارُ المناسبُ هنا هو الإشعاعُ بِعَظْمِ هذا الأمرِ في نفوسهم و شدَّةِ حرصهم على بقائه عندهم». (التفتازاني، بلاتا، ج١: ١٩٤) فالاعتبار المناسب عند السكاكي هو استعظام الصحابة (رض) لموت النَّبِيِّ «ص» وشدَّةِ حرصهم على بقائه عندهم.

أما المقام فقد صرَّح به الدسوقي حين شرح نصَّ التفتازاني المذكور آنفاً، فقال: «قوله (أي: قول التفتازاني) والاعتبار المناسب هنا؛ أي: لمقام الرسالة هنا». (الدسوقي، بلاتا، ج١: ٦٢٤) فالمقام عند السكاكي هو الرسالة؛ أي: المقام هو كون محمد «ص» رسولاً بعثه الله - تعالى - لهداية البشر على مَرِّ العصور و الأزمان إلى آخر الدنيا.

واستناداً إلى أنَّ الاعتبار المناسب يجب أن يكون موافقاً و مناسباً للمقام و أنَّ المقام يقتضي كلاماً يُناسبه لذلك يجب أن يكون استعظام الصحابة لموت النَّبِيِّ «ص» موافقاً و مناسباً لكون محمد «ص» رسولَ الله حقاً و صدقاً باعتقاد راسخ و إيمانٍ مُحكمٍ، علماً بأنَّ هؤلاء العلماء بدءاً بالسكاكي قدنسبوا لله - تعالى - أنه هو الذي نَزَّلَ هذا الاستعظام منزلةً إنكارهم موته «ص»؛ أي: إنه - تعالى - هو الذي نَزَّلَ استعظام الصحابة موته «ص» منزلةً اعتقادهم خلوده، لذلك صار اعتقاد الصحابة خلود النَّبِيِّ «ص» موافقاً و مناسباً لكون محمد «ص» رسولَ الله. هذه هي خلاصة رأي السكاكي. لكنَّ هذا الرأي مخالف للعقل؛ لأنَّه يُعطي نتيجةً سلبية، وذلك لعدم وجود مناسبة بين المقام وما يقتضيه خصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك ما أفاده السبكي حين

قال: «إنَّ اعتقادَ الرسالة و عدمَ الموت - هو الخلود- لايجمعان، وإنكارُهُم الموتَ يَنفِي أن يجتمعَ معه الإقرارُ بالرسالة». (السبكي، ٢٠٠٣، ج ١: ٤١٠) فإنكارُهُم الموتَ و هو المقتضى، لايُناسبُ الإقرارَ بالرسالة الذي هو المقامُ، فهما مُتَنافيانِ. هذه هي النتيجة التي تَمَخَّصَ عنها رأيُ السكاكي، وهي أنَّ هذا الاعتبارَ المناسبَ لايُناسبُ هذا المقامَ و أنَّ هذا المقامَ لايقتضي مثلَ هذا الاعتبارِ؛ لأنَّه لايُناسبُه، و هذا يعني أنَّ المقامَ و المقتضى متناقضان و غير متناسبين. لكنَّ الذي يبدو أنَّ السكاكي خَفِيَ عليه هذا التناقضُ الذي يؤولُ إليه رأيه لذلك اعتبرَ هذا المقامَ مقتضياً لهذا الاعتبارِ، و رأى أنهما غيرُ متناقضين. إذن ما هو المقام الحقيقي؟ وما هو الاعتبار المناسب؟ أذكر الجوابَ تحت العنوان التالي:

### المقام و الاعتبار المناسب الحقيقيين:

إنني لأشكُّ في أنَّ المقامَ هو سببُ نزولِ الآياتِ المبدوءة بقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران/١٤٤)؛ و سببُ نزولِ هذه الآياتِ الكريمة هو مخالفةُ الصحابةِ لأمرِ الرسولِ الأكرم «ص» في حربِ أُحُدٍ؛ لأنهم تركوا الأماكنَ التي أمرهم الرسولُ الأعظمُ «ص» بالثباتِ فيها و عدم تركها حتى في حالة انتصار المسلمين. فكانت نتيجةُ هذه المخالفةِ أن غلبَهُم العَدُوُّ و هَزَمَهُمْ لاسيما حين سَمِعوا منادياً يُخبرُ بموتِ النَّبِيِّ «ص» في حينَ كانَ الأجدُرُ بهم أن- يَتَّبِعُوا وَيُواصِلُوا الْقِتَالَ، وَيَطْلُبُوا النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ-تعالى-. قال سبحانه: (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران/١٢٦).

فهذا هو المقامُ الذي اقتضى مجئَ القصرِ في بدايةِ هذه الآياتِ الكريمات، أي: إنَّ مجئَ الآيةِ بالقصرِ هو الاعتبارُ المناسبُ الذي اقتضاه سببُ النزولِ. يعني إنَّ سببَ النزولِ اقتضى مجئَ القصرِ؛ أي: إنَّ مخالفةَ الصحابةِ لأمرِ الرسولِ الأعظم «ص» و عدمَ ثباتِهِم في مُواجهَةِ الكُفَّارِ كُلِّ ذلكَ يقدحُ في صحةِ اعتقادِ مَنْ انهزمَ بأنَّ محمداً

«ص» رسول الله، فلو كان اعتقادهم بكونه «ص» رسول الله اعتقاداً راسخاً لثبتوا و لمّا وَهَنُوا و لمّا ضَعُفُوا و لقاتلوا حتى الشهادة كما فعل أصحاب أنبياء كثيرين؛ قال تعالى: (وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/١٤٦). قال فخر الدين الرازي: «واعلم أنه -تعالى- من تمام تأديبه قال للمنهزمين يوم أُحُد: إِنَّ لَكُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَ أَتْبَاعِهِمْ أُسْوَةً حَسَنَةً، فلما كانت طريقة أتباع الأنبياء المتقدمين الصبر على الجهاد، وترك الفرار، فكيف يليق بكم هذا الفرار والانهازم» (الرازي، بلاتا، ج: ٩، ص: ٢٥) و قال أيضاً: «فالمعنى: وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه، فأصابهم من عدوهم قرح، فما وهنوا؛ لأن الذي أصابهم إنما هو في سبيل الله و طاعته وإقامة دينه، ونصرة رسوله، فكذلك كان ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد» (المصيدر نفسه، ج: ٩، ص: ٢٦)

نعم إن موت نبي من الأنبياء لا يجوز ولا يصح أن يكون أو يُعتبر سبباً لفرار أصحابه وعدم مواصلة مسيرته التي بدأها واستمر عليها. بل يجب عليهم أن يواصلوا مسيرته لاقامة دين الله، تعالى، لاسيما وأن القرآن أكد أن هذا الدين يجب أن يُظهره الله - سبحانه - على الدين كله، وأن -يبقى مابقيت الدنيا.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة/٣٣؛ الفتح/٢٨؛ الصف/٩) وقال فخر الدين الرازي: "وحاصل الكلام أنه -تعالى- بين أن قتله لا يوجب ضعفاً في دينه بدليلين: الأول: بالقياس على موت سائر الأنبياء وقتلهم و الثاني: أن الحاجة إلى الرسول لتبليغ الدين، وبعد ذلك فالحاجة إليه، فلم -يلزم من قتله فساد الدين والله أعلم" (الرازي، بلاتا، ج: ٩، ص: ٢٢؛ قوله: (قتله) أي: قتل الرسول «ص»)

والمهم أني أرى أن المقام هو سبب نزول الآية، وأن الاعتبار المناسب هو مجئ القصر فيها، فالقصر هو الذي أثبت وأكد الرسالة لمحمد «ص»؛ لأنها هي التي يجب

أن يعتقدَ بها جميعُ المسلمين بل الناس كافةً اعتقاداً راسخاً وفي نفس الوقت هو (أعني القصر) الذي نفى عن الرسول الأعظم «ص» الكذب والجنون والسحر والادّعا، فالقصر، وهو الاعتبار المناسب، ملائمٌ لسبب نزول الآية؛ ولاشكَّ أن هذا النفي قد أكد صحة ثبوت كونه «ص» رسول الله كباقي الرسل «ع» لذلك يجب اتّباعه في اوامره و نواهيه، كما تجب مواصلة نهجه و مسيرته «ص» و عدم تركها والتراجع عنها بعد موته «ص».

### الجهة الثانية من جهات المناقشة:

سببُ نزول الآيات:

إنَّ كلامَ السكاكي يُفهمُ منه أنَّ هذا الاستعظامَ الذي ابتكره، و نسبه لله، تعالى، هو سبب نزول هذه الآيات، و هو الذي انتهى بنفي الخلود عن الرسول الأعظم «ص»؛ قال السكاكي: «ومن الوارد في التنزيل على قصر الأفراد قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران/١٤٤)؛ فمعناه: محمّدٌ مقصوٌّ على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك، نُزِّلَ المخاطبونَ لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزلة المُبعدين لهلاكه». (السكاكي، ١٩٨٣: ٢٨٩)

وهذا يعني أنَّ الصحابة استعظموا وفاة الرسول الأكرم «ص»، فنزّل الله تعالى - استعظامهم هلاكه «ص» منزلة إنكارهم هلاكه (يراجع دويدري، ١٩٧٠: ٣٧٧) أي: نزّل الله عزّوجلّ - استعظام الصحابة وفاة الرسول الأكرم «ص» منزلة اعتقادهم أنه خالد، لذلك جاء القصرُ في هذه الآية ليثبت له «ص» الرسالة، وينفي عنه الخلود.

إذن فاستعظام الصحابة لموته «ص» كان هو سبب تنزيلهم منزلة المعتقدين خلوده، وهذا التنزيل هو سبب نزول هذه الآية التي نفّت عنه «ص» الخلود، وأثبتت له «ص» الرسالة، فهذا الاستعظامُ أو هذا التنزيلُ هو سبب نزول الآية التي نفت الخلود عن الرسول الأكرم «ص».

وإذا صحَّ ذلك فعلينا أن نتحرى حقيقة الأمر ونسأل الواقع التاريخي عن سبب النزول الحقيقي؛ هل سبب النزول هو هذا الذي فهمناه من نصوص السكاكي وتابعيه أو أنه شئ آخر؟ لأن معرفة سبب النزول الواقعي يلعب دوراً أساسياً في هذا البحث؛ لأنه يُعَيِّن لنا الشئ الذي نفاه القصر، والذي لاغنى لنا عن معرفته، لذلك أُعيد السؤال بعبارة أوضح وأقول: هل كان سبب نزول هذه الآيات الكريمة هو استعظام الصحابة، أي: هل هو تنزيلهم منزلة المعتقدين خلوده «ص»، أو كان شيئاً آخر؟

الجواب:

إن الرواة والمفسرين مُجمعون على أن هذه الآيات الكريمت إنما نزلت في واقعة أُحُد حين عصى الرماة أمر الرسول الأعظم «ص» ولم يُطيعوه إذ أمرهم بعدم ترك مواقعهم العسكرية. لكنهم أغرتهم الغنائم، فتركوا مواقعهم لذلك احتلها العدو وهزمتهم وكثر فيهم القتل. وغني عن الذكر أن نقول: إن الوحي انقطع بعد وفاة الرسول «ص» فلم ينزل بعد وفاته شئ من القرآن المجيد في حين أن استعظام الصحابة كان بعد وفاته.

والمهم الآن هو أن نذكر - فيما يلي - نصوص بعض المؤرخين والمفسرين القدامى حول سبب نزول هذه الآيات:

١- قال أبو زكرياء الفراء (٥٢٠٧هـ): «لأنهم قالوا يوم أُحُد: قُتِلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ففشلوا، وناقق بعضهم، فأنزل الله - تبارك و تعالی - : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران/١٤٤) و أنزل: (وَكَايِنِ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ) (آل عمران/١٤٦)». (الفراء، ١٩٨٠، ج١: ٢٧٣)

٢- وقال ابن هشام (٥٢١٣هـ أو ٥٢١٨هـ) تحت هذا العنوان: (ذُكِرَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي أُحُدٍ مِنَ الْقُرْآنِ)، قال: «(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/١٤٤)؛ أي: لقول الناس: قُتِلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وانهزامهم عند ذلك و انصرافهم عن عدوهم (أفان مات أو قتل) رجعتهم عن دينكم كفاراً كما كنتم، وتركتهم جهاد عدوكم وكتاب الله، وما خلف نبيّه -صلى الله عليه وسلم- من دينه معكم و عندكم و قد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميّت ومفارقكم؛ (ومن ينقلب على عقبيه): أي يرجع عن دينه...» (ابن هشام، بلاتا، ج ٢: ١١١-١٠٦)

٣- وقال الزجاج (٥٣١١): «وروي أن بعض من كان في يوم أُحُدٍ ازدّد وبعضهم مضى مسافة ثلاثة أيام، فأعلم الله -جل وعز- أن الرّسل ليست باقية في أممها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أتت به وإن فقد الرسول بموت أو قتل... المعنى: أتت قبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل». (الزجاج، ١٩٧٤، ج ١: ٤٨٧)

٤- وقال الواحدي (٥٤٦٨): «قوله (وما محمد إلا رسول) الآيات، قال عطية العوفي: لما كان يوم أُحُدٍ انهزم الناس، فقال بعض الناس: قد أصيب محمد، فأعطوهم بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، وقال بعضهم: إن كان محمد أصيب الأتمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فأنزل الله -تعالى- في ذلك: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل)... إلى قوله: (فاتاهم الله ثواب الدنيا) (آل عمران/١٤٨)». (الواحدي، ٢٠٠١: ٨٣)

٥- وقال الزمخشري (٥٥٢٨): «قوله (وما محمد إلا رسول) إلى قوله تعالى (وسيجزي الله الشاكرين)... وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل... ففشا في الناس خبر قتله، فانكفأوا، فجعل رسول الله يدعو: (إي عباد الله) (الدخان/١٨) حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هربهم، فقالوا يا رسول الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتانا خبر قتلك، فرعبت قلوبنا، فولينا مدبرين، فنزلت». (الزمخشري، بلاتا، ج ١: ٤٢٢)

٦- وقال فخر الدين الرازي (٥٦٠٦): «قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول...) إلى قوله تعالى: (وسيجزي الله الشاكرين)؛ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: لما نزل النبي -صلى الله عليه وسلم- بأحد أمر الرّماة أن يلزموا أصل الجبل - وأن لا ينتقلوا



عن ذلك سواء كان الأمر لهم أو عليهم، فلما وقفوا و حملوا على الكفار، وهزموهم و قتل عليّ طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم... ثم إن بعض القوم لما أن رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة إلى الغنيمة... فلما رأى -خالد بن- الوليد تفزق الرماة حمل على المسلمين، فهزمهم، وفزق جمعهم...» (الرازي، بلاتا، ج ٩: ٢٠)

إذن ثبت قطعاً بما لا يقبل الشك أن سبب نزول هذه الآية الكريمة إنما هو انهزام الصحابة يوم أُحد لمخالفتهم أمر الرسول «ص» و نفاق فريق منهم، وارتداد آخرين و سيطرة الرعب على بعضهم، فهرب مسافة ثلاثة أيام، فلم يمضوا على ما مضى عليه النبي «ص» ولم يتعظوا بصحابة كثير من الأنبياء حين واصلوا مسيرة أنبيائهم، وقاتلوا فما وهنوا ولا استكانوا، وهذا يدل على ضعف إيمانهم. و قد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. و من يولهم يومئذ ذبوا إلا منحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله و ماواه جهنم وبئس المصير) (الأنفال/ ١٦-١٥)

و أضيف أن الذي تظاهر باستعظام وفاة الرسول «ص» بعد وفاته «ص» ليس جميع الصحابة «رض» بل هو صحابي واحد فقط وهو عمر بن الخطاب «رض» الذي كان يجهز بنفي خبر وفاة النبي «ص» حتى جاء أبو بكر «رض»، وقرأ الآية الكريمة، فترجع عمر عن استعظامه، وأقر أنه لم يكن يعلم بنزول هذه الآية في زمن الرسول «ص» و يبدو أنه لم يكن يعلم بنزول غيرها من الآيات التي تشير إلى أن الخلود صفة لله تعالى - وحده ولا يشركه فيها أحد، كقوله تعالى: (كل من علىها فان ويبقى وجهه ربك ذو الجلال والإكرام) (الرحمن/ ٢٧-٢٦) و قال سبحانه: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) (الأنبياء/ ٣٤) وقال عز وجل: (كل نفس ذائقة الموت...) (آل عمران / ١٨٥). قال جل وعز: (لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص / ٨٨)

قال البخاري: «حدثنا إسماعيل بن عبد الله... عن عائشة -رضى الله عنها- زوج

النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مات وأبو بكر بالسُّنْحِ، قال إسماعيلُ: يعني بالعالية، فقام عمرُ يقولُ: (والله ما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم) قالت: وقال عمرُ: (والله ما كان يقَعُ في نفسي إلا ذلك، وليبَعَثَهُ اللهُ فليَقَطَعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهُمْ)، فجاء أبو بكر، فكشف عن رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فقبَلَهُ... ثم خرج، فقال: «أيُّها الحالفُ على رسليك...» وقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...) إلى قوله تعالى: (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)». (البخاري، بلاتا، ج ٢: ٢٩١ و ج ٣: ٩٥) و ذكر العلامة السُّنْدِيُّ في حاشيته على صحيح البخاري أن عمرَ قالَ بعدَ أن سمع الآية من أبي بكر: (أُوَيْهَتْ في كتاب الله! وما شعرتُ أنَّها في كتاب الله). (المصدر نفسه، ج ٣: ٩٥؛ حاشية السُّنْدِيِّ).

وأودُّ أن أُعيدَ إلى الذاكرة أن استبعادَ وفاة الرسول الأكرم «ص» ينفي الاعتقاد برسالته «ص» هذا ما أفاده بهاء الدين السُّبْكِيُّ حين قال: «من استبعدَ موته، فكأنَّه استبعدَ رسالته... فإنَّ اعتقادَ الرسالة وعدم الموت لا يجتمعان وإنكارُهُم الموتَ ينفي أن يجتمع مع الإقرار بالرسالة». (السُّبْكِيُّ، ٢٠٠٣، ج ١: ٤١٠)

وفي كلِّ مأمَرٍ دليلٌ على أنه لا علاقةٌ للاستعظام بسببِ نزولِ هذه الآيات الكريمة و أنَّ المستعظِمَ شخصٌ واحدٌ أو شخصين وليس جميعَ الصحابة وأنَّ أبا بكر رفضَ كلامَ عمر واستعظامَهُ، وأنَّ الخلودَ يستحيلُ أن يكونَ صفةً لغير الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ المنفِيَّ في هذا القصر ليس هو الخلود. بل هو ما سأذكره في الجهة الثالثة التالية، وأنا علمنا من كلِّ ما مرَّ أنه لا علاقة لتفسير السكاكي بالتفسير الواقعي للقصر في الآية الكريمة المذكورة.

### الجهة الثالثة: مانفاه القصر وما أثبتته:

قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (آل عمران/ ١٤٤)

إنَّ القصر في هذه الآية الكريمة هو قصرُ الموصوف على الصفة، وقد بحثَ عبدُ

القاهر الجرجاني هذا النوع من القصر بحثاً عميقاً حين قال: «واعلم أن قولنا: (في الخبر إذا أُخِرَ) نحو: (ما زيدٌ إلا قائمٌ) أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يُتوهم كونُ زيدٍ عليها، ونقيت ماعدا القيام عنه، فإنما تعني أنك نقيت عنه الأوصاف التي تُنافي القيام نحو أن- يكون جالساً أو مضطجعاً أو مُتكنئاً أو ما شاكل ذلك، ولم تُرد أنك نقيت ما ليس من القيام بسبيل؛ إذ لسانا ننفي عنه بقولنا: (ما هو إلا قائمٌ) أن يكون أسوداً أو أبيضاً أو طويلاً أو قصيراً أو عالماً أو جاهلاً» (الجرجاني، ١٩٧٨: ٢٦٦).

إذن فالصفات المنفية في هذا النوع من القصر هي الصفات التي تُنافي الصفة المذكورة، ولا تجتمع معها، وإن نصَّ عبدالقاهر هذا يهديننا إلى معرفة مانفاه القصر في هذه الآية الكريمة حيث أثبت هذا القصر الرسالة للرسول الأكرم «ص»، و في نفس الوقت نفا عنه «ص» السحر والجنون وادعاء النبوة، وبذلك يكون هذا القصر قد أكد كون محمد «ص» رسول الله، وأنه يجب اتباعه وإطاعة أوامره ونواهيه حياً وميتاً، وأنه يجب مواصلة مسيرته، والاستمرار على نهجه وصراطه المستقيم. ومعلوم أن هذا القصر لم ينف عنه «ص» صفاته الحميدة التي مدحه الله -تعالى- بها، وهي مكارم الأخلاق، كما أنه لم ينف عنه الموت، وقد أكدت الآية ذلك في قوله تعالى: (قد خلت من قبله الرسل)، علماً بأن الموت لم ينف عن أحد قط لأنه أمرٌ بديهي لا يختلف عليه اثنان، فالخلود في الدنيا ليس من صفات البشر، ولا يجتمع مع أية صفة أخرى في شخص، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ؛ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/٢٧-٢٦) و قال -سبحانه- مُشيراً إلى إفناؤه الكون و من فيه ثم إعادة خلقه من جديد: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء/ ١٠٤) (الزمخشري، بلاتا، ج ٣: ١٣٧)

وهذا هو الذي دفع عصام الدين الحنفي إلى القول بأن استعظام الصحابة موت الرسول الأعظم «ص» نُزِّلَ منزلةً أنهم ادَّعوا أنه «ص» إله؛ أي: كأنهم ادَّعوا أنه «ص» إله، وذلك حين قال: "نُزِّلَ استعظامهم هلاكه منزلةً دعوى الوهيته؛ لأن البقاء

يَخُصُّ الإلهَ: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص/ ٨٨) (الحنفي، ٢٠٠١: ٥٥٩)

والنتيجة التي نَحْصُلُ عليها أَنَّ الصفات التي نفاها القصرُ في هذه الآية الكريمة إنما هي السَّحْرُ والجُنُونُ وادِّعَاءُ التُّبُّوَّةِ. وليست هي الخلود الذي ادَّعاهُ السكاكي وَمَن تَبِعَهُ؛ كالخطيب القزويني والتفتازاني والبارتي والسُّبكي وغيرهم، وذلك للدليلين التاليين: الدليل الأول: أَنَّ الخلودَ صفةٌ منفيَّةٌ أساساً وأصلاً عن كلِّ ما خلقَ الله - تعالى -؛ لأنها صفةٌ تفرَّدَ وتَوَحَّدَ واختصَّ بها الخالقُ -عَزَّوَجَلَّ- ولاشريك له فيها، كما لاشريك له في الألوهيَّةِ، والدليل الثاني: أَنَّ الجنونَ والكذبَ والسحرَ هي الصفاتُ التي تُنافي الرسالةَ، وهي التي نسبها المشركونَ إلى الرسولِ الكريمِ «ص» قاصدين نفيَ الرسالةِ عنه «ص»، فهذه الصفاتُ هي المقصودةُ بالنفي، والله أعلم، وليس الخلودُ، أمَّا الخلودُ، فلايستقلُّ بمُنافاةِ الرسالة؛ أي: ليس هو وحدهُ الذي نُفيَ عن الرسولِ الكريمِ «ص». بل نُفيَ عنه «ص» السحرُ و الجنونُ و الكذبُ أيضاً، فالخلودُ لا يختص بنفيه عن الرسولِ الاكرمِ «ص»؛ بل إنه كما قلنا قبل قليلٍ، منفيٌّ أساساً عن جميع ما خلقَ الله تعالى، و لسائلٍ أن يسألَ ويقولَ: كما أنَّ صفةَ الكذبِ والسحرِ والجنونِ لا تجتمعُ مع الرسالة، فإنَّ صفةَ الخلودِ أيضاً لا تجتمعُ معها، و بناءً على ذلك يكونُ رأيُ السكاكي صحيحاً لاغبارٍ عليه، فهل يوجدُ فرقٌ بينهما؟

الجواب:

نعم، يوجدُ فرقٌ أساسيٌّ بينهما من جهة استحالة اجتماع كلِّ منهما مع الرسالة، وهو أنه يمكنُ أن- يجتمعَ كلُّ من الكذبِ والسحرِ والجنونِ مع صفةٍ أخرى عند غير الرسلِ «ع»؛ فمثلاً: قدتجتمع صفةُ الكذبِ مع صفةٍ أخرى عند عالمِ الهندسة أو عند غيره. لكنَّ استحيلَ اجتماعُ كلِّ من هذه الصفاتِ مع صفةِ الرسالة؛ لأنَّ الرسالةَ هي تَبليغُ حِكْمِ الله -تعالى- وأوامره ونواهيه، فهذه الصفاتُ وأمثالها هي وحدها التي نُفِيَتْ عن الرسولِ الأعظمِ «ص». أمَّا الخلودُ، فيستحيلُ أن يتَّصفَ به إنسانٌ سواءً أكانَ رسولاً أم غيرَ رسولٍ، وكذلك يستحيلُ اجتماعُ الخلودِ مع صفةٍ أخرى، فالخلودُ

لا يختصُّ بأنه منفيٌّ عن الرسول الأعظم «ص» فقط. بل هو منفيٌّ عن جميع الأحياء. بل هو منفيٌّ عن الكون و ما فيه فهو عامٌّ يشمُلُ جميعَ ما خلقَ البارئُ تعالى، فالسحر والجنون والكذب صفاتٌ منفيةٌ عن جميع الرُّسل «ع». لكنها غيرُ منفيةٍ عن غيرهم. أمَّا الخلودُ فنقيُّه عن الخلق أمرٌ ثابتٌ ومعلومٌ لجميع البشر، عالمهم وجاهلهم؛ لأنه ثبت لهم حقيقةٌ وواقعاً في آبائهم وأجدادهم الماضين. واستناداً إلى هذا التفسير الذي قدّمناه فلاداعي ولا ضرورة تدعو إلى أن يكلف علماء البلاغة أنفسهم ويجهدوا أذهانهم لكي يفترضوا عملية التنزيل وأن ينسبوا إلى الله تعالى - أنه سبحانه - هو الذي نزل استعظام الصحابة منزلة إنكارهم موت الرسول الأكرم ص؛ أي: منزلة اعتقادهم بأنه خالد، ففيما أوضحناه كفايةً واستغناءً عن أن ينسبوا لله تعالى - شيئاً اجتهادياً مفترضاً لا تعلم صحته، فالأفضل الابتعاد عن الدخول في متاهات ذهنية أو وهمية بعيدة عن البحث العلمي الخالص النقي.

#### الجهة الرابعة:

ارتباط البحث البلاغي في القرآن الكريم بالتفسير: إنَّ البحث البلاغي في القرآن الكريم نوعٌ مهمٌّ من أنواع التفسير؛ لأنه يلعب دوراً رئيسياً هاماً جداً في تفسير كثير من الآيات المتشابهات ودفع توهم الشك والشبهة عنها وما نسبته المنافقون والجاهلون للقرآن الكريم من التناقض. لذلك فالبحث البلاغي لا يستغنى عنه في التفسير. وقد أكدَّ عبدالقاهر ذلك كثيراً خصوصاً حين هاجم بعض المفسرين الذين لم يتركوا البحوث البلاغية في الموارد التي تستلزمها، ولا يلتفتون إليها، وذلك حين قال: «ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يوهموا أبداً في الألفاظ الموضوعية على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويبتلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف. وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثر في

غير طائل. هناك ترى ماشئت من باب جهل قدفتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به، ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق» (الجرجاني، ١٩٧٨: ٢٣٦).

لكن يجب أن-يسمو البحث البلاغي ويرقى إلى مستوى المعاني القرآنية السامية ويتلائم معها ولا يخرج عن ذلك. أما إذا أراد العالم البلاغي أن-يجتهد وينسب شيئاً إلى الله-سبحانه- فإنه يجب عليه أن-يستدل برواية صحيحة معتبرة، أو أن-يختتم كلامه بالعبرة التالية: (والله، تعالى، أعلم). لكن السكاكي لم-يفعل ذلك، وتابعه أيضاً لم-يستدلوا بشئ من ذلك حين نسبوا جميعاً لله-سبحانه وتعالى- أنه هو الذي نزل استعظام الصحابة منزلة إنكارهم هلاك الرسول الأعظم ص: قال السكاكي: «نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه». (السكاكي، ١٩٨٣: ٢٨٩) ومعلوم أن قوله: (المخاطبون) يعني (الصحابة) وقال البابر تي: «نزل الله، سبحانه وتعالى، استعظام المؤمنين هلاك رسوله، عليه الصلاة والسلام، منزلة إنكارهم إياه» (البابرتي، ١٩٨٣: ٣٣٧). والمهم أن هذا الادعاء يحتاج إلى دليل علمي يثبت، ثم إن السؤال التالي يبقى بلا جواب، وهو: من الذي أخبر السكاكي بأن الله، تعالى، هو الذي قام بعملية التنزيل هذه حتى استطاع أن يتكلم فيها باطمئنان كامل إلى درجة أنه لم-يختتم كلامه بالقول: (والله، تعالى، أعلم)! وأضيف إلى كل ذلك أن هؤلاء العلماء اختلفوا في الذي نفاه القصر في هذه الآية الكريمة، فذهب أكثرهم إلى أن المنفي إنما هو الخلود متابعين السكاكي، وذهب بعضهم كعصام الدين الحنفي إلى أن المنفي إنما هو الألوهية وليس الخلود، والمهم أن هذا الاختلاف إنما يعني أن هؤلاء العلماء قد اجتهدوا في ذلك، وأنهم لم يملكوا دليلاً على أن الله تعالى وهو الذي قام بعملية التنزيل تمهيداً لنفي الخلود، فاختلافهم هذا نفسه دليل على عدم امتلاكهم دليلاً يدل على نسبة هذا التنزيل لله سبحانه وتعالى.

فثبت بما تقدم شرحة أن عملية التنزيل هذه إنما هي أمرٌ اجتهادي رآه السكاكي وتابعه فيه بقية علماء البلاغة بالدليل علمي معتبر، ونسبوه لله، تعالى؛ ثم إنهم في

هذا التنزيل لم يُراعوا مكانة الصحابة «رض» ومنزلتهم؛ لأن هؤلاء العلماء أنزلوهم منزلة الجاهلين بأن محمداً رسول الله مع أنهم يعلمون أنه «ص» رسول الله، وهذا ماصرخوا به، وذكرناه فيما سبق. فنسبوا العلم والجهل للصحابة «رض» ليستقيم ويصح لهم القول بأن المنفي هو الخلود.

اللهم إلا أن يكون قصد هؤلاء العلماء أن الصحابة «رض» كانوا عالمين بأن محمداً «ص» رسول الله. لكن علمهم لم يكن عن عقيدة راسخة ويقين ثابت لذلك فعلمهم شبيه بالجهل، فهو كالأعلم، ووجه الشبه خلو كل من المشبه والمشبه به مما تقتضيه العقيدة الراسخة من العمل؛ لأنه إذا كانت عقيدة الانسان غير راسخة فإنها لا تدفع صاحبها إلى التفاني في سبيل تحقيق ما تقتضيه، أما إذا كانت العقيدة راسخة، فإنها تدفع صاحبها إلى التفاني في تحقيق ما تقتضيه.

وأضيف أن عملية التنزيل هذه التي اعتقد بها علماء البلاغة إنما هي تشبيه، قال المغربي: «أصل التنزيل تشبيه الشيء بالشيء، فلما شَبَّهوا (أي: فلما شَبَّه الصحابة بمن نفى ذلك...) بالنافي في ذلك ناسب تنزيلهم منزلة المنكرين، فحُوطبوا برَّد الإنكار للاعتبار المناسب، وهو الإشعار بأنهم في غاية الاستعظام وغاية الحرص الذي يُنزَّلون فيه منزلة المنكرين». (المغربي، ٢٠٠٣، ج ١: ٤٤٧)

وهذا يعني أن علماء البلاغة شَبَّهوا المستعظمين لموت الرسول الأعظم «ص»، وهم الصحابة، بالنافين المنكرين لموته «ص» بعد وفاته «ص»، فالمشبه: المستعظمون، وهم الصحابة، والمشبه به هم الذين يتفون وينكرون موت الرسول الأكرم «ص» بعد وفاته. ولما شَبَّهوا الصحابة المستعظمين لموته «ص» بالنافين المنكرين له، ناسب أن يُنزَّلوهم منزلة المنكرين لموته «ص»؛ يعني إن هذا التنزيل قد تم بعد أن قطع علماء البلاغة مرحلتين: المرحلة الأولى: التشبيه والمرحلة الثانية: التنزيل. إذن فالتنزيل يُقَرَّبُ المستعظمين لموت الرسول «ص» من المنكرين له أكثر من تقريب التشبيه لهما، فكانه يجعل المستعظمين والمنكرين شيئاً واحداً.

وإنني أرى أنه لاداعي ولا ضرورة لكل هذه التأويلات التي لا تغني، ولا تُسمن؛ لأن رأينا الذي ذكرناه في الجهة الثالثة يُغينا عن كل تلك التأويلات.

### النتائج

- ١- أن المنفي بالقصر في الآية الكريمة المذكورة ليس هو الخلود.
- ٢- أن المنفي الحقيقي هو السحر و الجنون و ادعاء النبوة الذي عبرت عنه بالكذب.
- ٣- أن عملية تنزيل الصحابة المستعظمين لموت الرسول الأكرم «ص» منزلة المنكرين لموته؛ أي: منزلة المعتقدين بخلوده، إنما هي عملية تأويلية بعيدة عن الواقع.
- ٤- أن نسبة هذا التنزيل لله تعالى - وأنه سبحانه - هو الذي قام بعملية التنزيل، إنما هي نسبة تأويلية عارية عن الدليل العلمي.
- ٥- أن استعظام وفاة الرسول الكريم «ص» إنما حصل بعد وفاته «ص».
- ٦- أن الذي استعظم وفاة الرسول العظيم «ص» شخص واحد أو شخصين و ليس جميع الصحابة.
- ٧- أن سبب نزول الآيات المذكورة هو معصية الصحابة الرماة لأمر الرسول الكريم «ص» في واقعة أُحد؛ لأنهم تركوا مواقعهم التي أمرهم الرسول الكريم «ص» بالثبات فيها، وعدم تركها حتى في حالة الانتصار، ثم فرار أكثر الصحابة.
- ٨- أن المقام الذي ذكره هؤلاء العلماء لا يمكننا الأخذ به، و إنما المقام هو سبب نزول هذه الآيات الكريمت.
- ٩- أن الاعتبار المناسب الذي ذكره غير صحيح؛ لأنه لا يناسب المقام الذي صرحوا به واعتقدوه، وإنما الاعتبار المناسب هو مجئ الآية الكريمة بالقصر.
- ١٠- أن التفكير والتدبر والتأمل بالقدر المطلوب مع امتلاك النظرة الشاملة لجميع جوانب الموضوع يحمي الدارس من الوقوع في التوهّم والزلل و الخطأ والتقليد



الأعمى، ويفتح أمامه آفاقاً جديدةً من العلم الصحيح و يُوهِّلهُ للعثور على شئ مما تركه الأول للآخر في موضوع البحث.

١١- أن البحث البلاغيّ يجب أن يُجرّد و يُنقّى من كثير من المصطلحات و الأذواق المنطقية الصّرفة الجافّة، وأن يتّسم بالذوق البلاغي والأدبي الأصليين كما فعل عبدالقاهر الجرجاني في بحوثه البلاغية وذلك لتعود الحياة الأصيلة إلى هذه البحوث، ولنسمو نحو سماء المعاني القرآنية الرفيعة المعجزة.

### الهوامش

١. (أي: نزل الله تعالى - الصحابة لاستعظامهم موت الرسول الأكرم «ص» منزلةً للمعتقدين بخلوده؛ يراجع شرح التلخيص لأكمل الدين البابرّي: ٣٣٧ وقال عصام الدين الحنفي: "نزل استعظامهم هلاكه منزلة دعوى أوهيته... واعتقاد الأوهية ينافي الرسالة الحنفي، ٢٠٠١: ٥٥٩)
٢. قوله: فكانه استبعد رسالته يعني فكأنه استبعد أن محمدا «ص» رسول الله حقاً وصدقاً.
٣. أي: إن الآية ردّت إنكار الصحابة لموت النبي «ص».
٤. المستعظم: هو موت النبي «ص»: أي: ردّاً لهم عمّا عسى أن يؤدي استعظامهم الموت إلى نفي الموت.
٥. بعضهم: أي: بعض الصحابة، و ذكر البخاري: أنه عمر بن الخطاب (البخاري، ج ٢: ٢٩١؛ ج ٣: ٩٥)

### المصادر

- أحمد بدوي، أحمد (١٩٥٠م)، **من بلاغة القرآن**، القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- ابن هشام (المعافري)، عبدالملك أبو محمد (بالاتا)، **السيرة النبوية**، تحقيق و شرح مصطفى السقا و آخرين، طبع مؤسسة علوم القرآن.
- البابرّي، كمال الدين محمد بن محمد (١٩٨٣م)، **شرح التلخيص**، تحقيق الدكتور محمد مصطفى رمضان صوفية، الطبعة الأولى، طرابلس: المنشأة العامة للنشر و التوزيع.
- بسيوني (فيود)، عبدالفتاح (٢٠٠٨)، **علم المعاني**، دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني، الطبعة الأولى، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (بالاتا)، **صحيح البخاري**، لبنان: دار المعرفة.

- الخطيب التبريزي (٢٠٠٧م)، **شرح ديوان أبي تمام**، قدّم له و وضع هوامشه و فهارسه راجي الأسمر، بيروت: دارالكتب العربي.
- التفتازاني، سعد الدين (بالاتا)، **شرح المختصر**، تحقيق عبدالمتعال الصعيدي، طبع إيران: قم.
- الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٧٨م)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، لبنان: دار المعرفة.
- الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين (٢٠٠١م)، **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق و تعليق اليكتور عبدالحميد هندواوي، الطبعة الأولى، لبنان: دارالكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
- الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين (١٩٨٥م)، **المعاني و البيان و البديع**، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.
- (١٩٩٣م)، **المعاني و البيان و البديع**، شرح و تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.
- للدسوقي، محمد بن محمد عرفة (بالاتا)، **حاشية على شرح سعد الدين التفتازاني**، طبع أسطنبول.
- دويدري، محمى هاشم (١٩٧٠م)، **شرح التلخيص**، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات دار الحكمة.
- الرازي، فخر الدين (بالاتا)، **التفسير الكبير**، الطبعة الثانية، طهران: دار الكتب العلمية.
- الزجاج، أبي إسحق إبراهيم بن السري بن سهل (١٩٧٤م)، **معاني القرآن و إعرابه**، تحقيق عبدالجليل عبده شبلي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر، (بالاتا)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، طبع إيران.
- السبكي، بهاء الدين (٢٠٠٣م)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق الدكتور عبدالحميد هندواوي، الطبعة الأولى، لبنان: المكتبة العصرية.
- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (١٩٨٣م)، **مفتاح العلوم**، ضبطه و كتب هوامشه نعيم زرزور، لبنان: دارالكتب العلمية.
- الصعيدي، عبد المتعال (١٩٩٩م)، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مصر: مكتبة الآداب.
- (١٩٩١م)، **البلاغة العالية**، مصر: مكتبة الآداب.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٩٩٨م)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق السيد هاشم

- الرسولي المحلّاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، الطبعة الثانية، لبنان: دارالمعرفة.
- الطّيبيّ، الحسين بن محمد بن عبدالله (١٩٩١م)، **التبيان في البيان**، الطبعة الأولى، لبنان: دار البلاغة.
- (١٩٨٧م)، **التبيان في علم المعاني و البديع و البيان**، تحقيق اليكتور هادي عطية مطر الهلاليّ، الطبعة الأولى، لبنان: عالم الكتب.
- الفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد (١٩٨٠م)، **معاني القرآن**، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مصر: الهيئة المصرية العام
- قليلة، عبده عبدالعزيز (١٩٩٢م)، **البلاغة الاصطلاحية**، الطبعة الثالثة، مصر: دارالفكر العربي.
- المغربي، أبي العباس أحمد بن محمد ابن محمد بن يعقوب (٢٠٠٣م)، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المراغي، أحمد مصطفى (١٩٨٤م)، **علوم البلاغة**، البيان والمعاني والبديع، الطبعة الثانية، لبنان: دارالقلم.
- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (١٩٩٢م)، **مجمع الأمثال**، لبنان: المكتبة العصرية.
- الواحدي، أبوالحسن علي بن أحمد النيسابوري (٥١٣٦٢ ش)، **أسباب النزول**، لبنان: دار الكتب العلمية، طبع إيران: قم، مطبعة أمير.

### sources

- Ahmad Bedoui, Ahmad (1950 AD), I Balaghi al -Qur'an, Al -Qahari:-
- Ibn Hisham (al -Maqafari), Abdul Malik Abu Mohammed (Balata), al -Siri al -Nubui, research and description of Mustafa al -Saqq and the last, the institute of al -Qur'anic sciences.
- Al -Babarati, Kamal al -Din Muhammad ibn Muhammad (1983), Description of Al -Talakas, Research by Muhammad Mustafa Ramadan Sufi, al -Taba'i al -Awli, Tripoli: Al -Mena'i al -Lanshar and al -Tawzi.
- Many (Fayyods), Abdul Fattah (2008), Alam al -Ma'ani, Draghi and Criticism of Lamsa'il al -Ma'ani, al -Taba'a al -Awli, al -Qahir: Al -Maktar Institute of Lennashar and al -Tawzi.
- Al -Bakhari, Muhammad ibn Ismail (Belata), Right Al -Bakhari, Lebanon:-
- Al -Khattib al -Tabrizi (2007), Description of the Divan Abi, Grade and the Status of the Hoomsheh and Fahrshah Raji al -Sasr, Beirut: Dar al -Kutb al

- Arab.
- Al -Taftazani, Saad al -Din (Balata), Commentary by al -Maktasr, Research by Abdul Mattal al -Sayyidi, Iran: Qom.
- Al -Jajjani, Abdul Qahir (1978), The Reasons of Al -Ajaz, the Research of Al -Sayyid Mohammad Rashid Reza, Lebanon:
- Al -Hanafi, Abraham ibn Muhammad ibn Arabshah Asam al -Din (2001), Al -Tawwal, the bitter description of the Muftah al -Alum, the investigation and suspension of Al -Abdul Hamid Handavi, al -Taba'ah al -Awli, Lebanon: Dar al -Kutb al -Umayyah, Muhammad Ali.
- Al -Khattib al -Qazvini, Jalal al -Din al -Baqdullah Muhammad ibn Sa'ad al -Din (1985), al -Ma'ani and al -Bayyan Vali, al -Ta'ba al -Awli, Lebanon: -----(1993), Al -Mawani and al -Bayyan and al -Bada'i, Commentary and Suspension of Muhammad Abdul Mansam Khafaji, al -Taba'a al -Tha'i, Egypt: Al -Maktaba al -Zahr al -Lattar.
- Al -Basuqi, Muhammad ibn Muhammad Arafahi (Balata), Ali's Commentary on Saad al -Din al -Tafazani, Nature of the Board.
- Davidi, Mohammed Hashim (1970 AD), Description of Al -Talakasi, Al -Taiba al -Awli, Damascus: Heads of Al -Hakami.
- Al -Razi, Fakhr al -Din (Balata), Al -Tafsir al -Kabir, al -Taba'a al -Thani, Tehran: Dar al -Akab al -Umayyah.
- Al -Zajaj, Abi al -'Abbah ibn al -Sari ibn Sahel (1974 AD), Maqi al -Qur'an and Arab, Abdul Jalil Abdul Shabali, Al -Aami al -Aami al -Mutihad al -Amiri.
- Eskhari, Jarallah Mahmoud ibn Omar, (Balata), Al -Kashf al -Tanzil, the nature of the Iranians.
- Al -Sabaki, Baha'i al -Din (2003), Bride of Al -Fayyat Fayyah, Investigations of al -Daktar Abdul Hamid Handavi, al -Taba'ah al -Awli, Lebanon: Al -Maktaba al -Asr.
- Al -Saqqaki, Yaqub Yusuf ibn Abi Bakr Muhammad ibn Ali (1983), Mufti al -Alum, the scope and books of the Humasheh Naeem Zarzor, Lebanon: Dar al -Kutb al -Alimi.
- Al -Sayyidi, Abdul Mattal (1999), Baghi al -Jawzah al -Mafaqah in the Science of Al -Balaghi, Egypt: School of Al -Adab. ----- (1991), Al -Balagha al -Alia. Egypt: Muqatah al -Ladab.
- Al -Tabrizi, al -Fazl ibn al -Hassan (1998), Assembly of Al -Bayyan fi al -Qur'an, al -Sayyid Hashem al -Rasuli al -Malati, and al -Sayyid Fazlullah al -Tabataba'i, al -Taiba al -Tabati, Lebanon:
- Al -Taibi, al -Hussein ibn Muhammad ibn Abdullah (1991 AD), al -Tabian al -Bayyan, al -Ta'ba al -Awli, Lebanon: Dar al -Balaghi.

- (1987), Al -Tabian al -Ma'ami and al -Badiyyah and al -Bayyan, Hadi Hadi's research, al -Ta'ba al -Awli, Lebanon:
- Al -Fara, Abi Zakari Yahya bin Zayd (1980 AD), Maqi al -Qur'an, Research by Mohammad Yusuf Nejati and Mohammad Ali al -Najjar, Egypt: Al -Masriyah al -Aami
- Ghaqili, Abdul Abdulaziz (1992 AD), al -Balaghi al -Aqa'i, al -Taba'a al -Thati, Egypt: Dar al -Fakr al -Arabi.
- Al -Maraghi, Ahmad Mustafa (1984), Al -Balaghi Science, Al -Bayyan Valmani Vedi, al -Taba'a al -Thani, Lebanon: Dar al -Qalam.
- Al -Maghribi, Abbas al -Abbas ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Ya'qub (2003 AD), the Prophet al -Fatih al -Muftah, al -Ta'ba al -Wali, Lebanon:
- Al -Muhammad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Abraham al -Naqabouri (1992), the Assembly of Al -Alam, Lebanon: Al -Maktaba al -Asri.
- Al -Haddi, Abolhassan Ali ibn Ahmad al -Naqabouri (1362 AH), Sabab al -Nizul, Lebanon: Dar al -Akab al -Umayyah, Iran: Qom, Amir.



**Abstract****Discussing the theory of Al-Sakkaki and its followers in the interpretation of the palace in the saying of the Almighty:**

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا... ) To (وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (Al-Imran/144-146)

Mohammad Ebrahim Khalifa Shushtri\*

The title of this article is (Discussion and Criticism) and the purpose of the discussion and criticism is Abu Yaqub Al-Sakkaki, who died in the year 626 AH, the author of the book Miftah al-Ilam, and he is one of the prominent scholars of al-Balagha, and the reason behind his discussion and criticism is his opinion on the interpretation of the Qur'an in the saying of the Almighty (And what is Muhammad but a Messenger) (Al-Imran/144) where he said: "And among those mentioned in the revelation on Qasr Al-Ifrad is the saying of the Almighty: (And what is Muhammad but a Messenger); the meaning is that Muhammad is limited to the message so that he does not exceed it to the distance from destruction. Manzel al-Mubadin Lehlakeh (Al-Sakkaki.1983: 289)

This speech means that Al-Sakaki is related to Allah Almighty, that He is the one who sent down the Companions, the status of those who believe that the Greatest Messenger (PBUH) is immortal, therefore, Allah Almighty limited him to the message, and denied him immortality, and he followed this opinion, according to the knowledge of all the scholars of rhetoric who came later to this day. And when I carefully looked at his opinion, I found that disputing it, criticizing it, and giving the right opinion is a very important and necessary matter; Because this interpretation and this interpretation are closely and directly related to the interpretation of the Qur'anic verses, which include this short sentence, and their understanding is supported by the evidence of the court, also knowing that when Al-Sakaki attributes it to Allah - the Exalted - it is a decisive relation, and he does not follow it with a sentence like this sentence: (By God - Allah knows best). And what I have done is that your view of this mansion from another angle is closer to the truth of the matter based on the reason of the descent, and to the science of meanings and to the historical reality. The appropriateness, and the relationship between rhetorical research in the Holy Qur'an and Tafsir.

The results I reached were that Allah, the Exalted, sent down the status of the Companions to the believers after the death of the Holy Prophet (PBUH) and that attributing this to him - Exalted be He - is without evidence, but it is an interpretive process, perhaps the purpose of which is to subject the verse to the rhetorical rule. : magic, madness, and falsehood (claims of prophethood), but it is not eternal And this is the case - according to the information - I disagree with Al-Sakaki's opinion and criticize it, and give the opinion of the previous one

**Keywords:** Discussion and Critique, Al-Sakaki theory, Al-Qasr

\* Professor of Arabic Language and Literature, Shahid Beheshti University.

m-khalifeh@sbu.ac.ir